مجلة اللغة العربية وآدابها
السنة ١٥، العدد ٤، شتاء ١٤٤١هـ
صفحة ٥٦٥- ٥٨٩ (مقالة محكمة)

Print ISSN: 1735-9767
Online ISSN: 2423-6187
https://jal-lq.ut.ac.ir/

الهوية الوطنية في شعر سليمان العيسى للأطفال
(دراسة سيميائية ثقافية)

زهرا فريد[١]*، فاطمه اكبري زاده[١]

١. أستاذة مساعدة، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الزهرا، طهران، إيران

(تاريخ الاستلام: ٢٠١٨/٩/١١؛ تاريخ القبول: ٢٠١٩/٥/١٨)

الملخّص

الدراسات السيميائية الثقافية تعتبر سبلا نظرية ومنهجية بوصفها آليات ناجعة للتحليل الثقافي، قادرة على النظر في العلاقات الحوارية التواصلية للمجتمع البشري. إذ تبرز هذه العلاقات عبر المفاهيم الجوهرية للكون السيميائي الذي رسمه يوري لوتمان، ومنها التقابل الثنائي، واللاتجانس، والمركز والهامش، والحدود. ومن هذا المنطلق، تعتبر الثقافة انعكاسا للفكر الانساني ومكونا جوهريا من مكونات المجتمع ومجسداً لهويته ومجمل سماته المميزة ونتيجة الوعي الفردي أو الجماعي بالذات. الثقافة والهوية تتشيد خلال النصوص الأدبية؛ إذ الأدب الأطفال كعتبة الهوية يشيد بنايات الثقافة خلال الحوار مع القيم الاجتماعية والوطنية والقومية و... ويعتبر نصاً ثقافياً سيميائياً ملفتاً للاهتمام. يرتكز شعر الأطفال في العصر الحديث ـ سليمان العيسى ـ على عالم الطفل خلال نغمات وترنيمات من وجهة نظر الطفل ويبني الكون السيميائي في نصّه، ليعالج قضية الهوية الوطنية للطفل العربي خلال رسم الحدود بين الذات والآخر. لضرورة فهم دلالات النص الثقافي السيميائي الأدبي لأدب الأطفال، يحاول المقال أن يدرس الكون السيميائي لأشعار سليمان العيسى لتمييز مجال "الأنا" و"الآخر" ونوعية العلاقات الحوارية بينهما بالمنهج التوصيفي- التحليلي حسب رؤية لوتمان. فبما أنّ الهوية الوطنية تنشأ عبر الوعي بالاشتراكات والتمايزات مع الآخر في النظام المعرفي للأطفال في موضوع الوطن فيوصل البحث إلى أنّ الشاعر يرسم الهوية الوطنية للطفل في إطار الكون السيميائي عبر عالم الواقع والخيال باستدعاء عناصر الطبيعة الصامتة والمتحركة، ويرسم الحدود بين "الأنا" و"الآخر" نتيجة الحوار المثمر بين النص والقارئ؛ إذ يدخل "الآخر القريب" من مواطني الوطن، في الفضاء الداخلي للكون الثقافي تفاعلا مع التراث القومي والعربي الإسلامي ويمنحه الشرعية للوجود؛ ثمّ يجعل "الآخر البعيد" من المحتلّين والغزاة ضد معالم الكون الثقافي ليرسم الآفاق المستقبلية للجيل القادم بالمقاومة أمامه وإقصاءه وهو عامل التوتر، ويعتبره اللا ثقافي.

الكلمات الرئيسة

أدب الأطفال، السيميائية الثقافية، الهوية، الأنا والآخر، سليمان العيسى.

---

* الكاتب المسؤول
Email: z.farid@alzahra.ac.ir

مقدمة

السيميائية فعالية دلالية ونشاطا معرفيا وفلسفيا لفهم الحياة ومعطياتها، والسيميائية الثقافية في إطارها تهتم بجانب الثقافة باعتبارها جزءاً من الكون السيميائي وتنظر إلى العلاقات الحوارية بين الثنائيات المتقابلة، وترسم إطار النواة المركزية والهامش والحدود وتبني بنايات الهوية للشخص. إذ حسب مفاهيم الأنتروبولوجيا حول تصوير الإنسان في العالم، تُرسَم معالم الهوية بالتركيز على العلاقات بين الذاتية[1] التي تولّدها النصوص في إطارها السيميائي.

النصوص الأدبية تشمل أنواع الآداب والفنون ومنها أدب الاطفال. يعرّف الهيتي أدب الأطفال بأنّه الآثار الفنية التي تصوّر أفكارا وأحاسيس وأخيلة تتفق ومدارك الأطفال بأشكال كالقصة والمسرحية والمقالة والأغنية (الهيتي، ١٩٨٦: ٧٢). فالطفل هو «عالم من المجاهيل المعقدة» (أحمد، ١٩٩٠: ١٨١) ومرحلة الطفولة من أهم مراحل النمو في حياة الشخص، إذ تحدّد السمات الشخصية (اكبربور، ١٣٩٤: ١٧). فأدب الأطفال يعتبر وسيلة للتعليم والتسلية وأداة لتكوين العواطف السليمة لهم (الحديدي، ١٩٨٨: ٦٤). بسبب كل ما بينّاه، يتميز أدب الأطفال من باقي الأنواع الأدبية بخصائصه المذكورة؛ وكذلك يتميز الشعر بخصائص عدة، إذ له دلالات تسمى "الرسالة الشعرية" (مدني، ١٣٨٨: ١٠٢). ومهمة الأديب الذي يكتب للأطفال لا تقف عند العرض والتحليل بل يتجاوز ذلك إلى مهمة ترسيم معالم هوية الطفل، وتعزيز انتماءه إلى الوطن وغرس الصفات النبيلة فيه.

سليمان العيسى كرائد شعر الأطفال في العصر الحديث بعد هزيمة العرب في حزيران عام ١٩٦٧ للميلاد والنكسة التي تعرضت لها البلاد العربية، كرّس جميع جهوده لإنشاد الشعر بجانب أعماله الأدبية الأخرى لترسيم معالم هوية الطفل وتعزيز انتمائه إلى وطنه وحثّه على الصمود، فضلاً عن توعيته بوطنه الكبير عربياً. ذلك أنّه يعتقد اعتقادا جازماً بأن الأطفال ثروة الأمة العربية لبناء مستقبل أفضل ولتحقيق الأحلام المنشودة؛ فيصرح بقوله للأطفال:

«إنكم أغلى علي وأعزّ عندي من ذلك.. إنكم جديرون بأن تحملوا الأمانة العظيمة منذ الآن.. أمانة عودة الأمة العربية العظيمة المنكوبة الممزقة، عودتها إلى موكب الإنسانية» (العيسى، ١٩٩٩: ٣٣).

1. Intersubjectivity

سليمان العيسى يتوخى منهجاً خاصاً في إنشاده الأشعار إذ يعتبر «من شعراء الأطفال القلائل الذين عايشت أشعارهم وجدان وأحاسيس الطفولة و... ويقدّم للأطفال شعرا يسميه *"المعادلة الشعرية الجميلة"* بالجمع بين الركنين الأساسيين وهما السهولة والصعوبة؛ السهولة في القراءة والحفظ والتغني، والصعوبة في بعض المعاني والصور. إنه يكتب للصغار ويحاول أن ينقل إليهم هموم الانسان المعاصر وأحلامه وتجربته الفنية والقومية والانسانية حتى يشبّ الأطفال على القيم النبيلة» (بوعجاجة، ٢٠٠٩: ٦)؛ إذ تجدر دراسة أشعار سليمان العيسى بقيمها وغاياتها التربوية ككون سيميائي له دلالات ومعاني.

أشعار سليمان العيسى بطاقته المعرفي، نصٌّ[1] من منظور الدراسات السيميائية الثقافية[2]؛ وله علاماتٌ تكسب المعنى والدلالة وتكوّن نصّاً ثقافياً (انظر: لوتمان واسبنسكي، ١٣٩٠: ٧٧) ـ سنتكلم عنها ـ.

من منطلق جماعة موسكو- تارتو في الدراسات السيميائية الثقافية ومنهم يوري لوتمان؛ هناك تعريفا سيميائيا للنصّ، إذ يعتبر *"النص"* وحدة أساسية للثقافة، بما هو علامة متكاملة أو مجموعة من العلامات اللغوية وغير اللغوية؛ فيضاف إلى مدلوله اللغوي مدلول آخر ثقافي يكون له قيمة داخل ثقافة معينة (النص= المدلول اللغوي + المدلول الثقافي)؛ وإذا فقد دلالته الثقافية أصبح *"لا نصّ"*[3]. (انظر: بوزوادة، لا تا: ١٣٨) فـ *"النص"* بوصفه المفهوم الاساس للنظرية السيميائية، لا يعتبر نصاً بسبب بنيته اللغوية، بل لما يمثّل من محمول ثقافي متكامل بغض النظر عن مادته. كذلك هناك إطارين للعلامات إذ الكون السيميائي الثقافي يعتبر *"الثقافة"* كلما يدخل في إطاره الداخلي ويعتبره عالما ثابتا ونظاما ونسقا مغلقا ومجالا مقفلا ومفهوما محايثا؛ لكنه يعتبر كلّ ما هو خارج عنه، *"اللا-ثقافة"*[4]. (انظر: بوزوادة، لا تا: ١٣٥)

الكون السيميائي الثقافي، نظام تواصلي قائم على العلاقات الحوارية بين الأنا والآخر. إنّه يكوّن الوعي الفردي تجاه الوجود والإنسان بالتركيز على العلاقات بين الذاتية. الوعي الفردي ليس الوعي الموحّد الواحد المنكفئ على الذات، بل إنّه وعي على أساس التعامل مع الآخر (Holquist، ١٩٩٤: ٢٠-٢١) إذ «يلعب الآخر دوراً حاسماً لتقديم صورة عامة للوجود

1. Text
2. Culture
3. Non-text
4. Non-culture

الإنساني، فمن المستحيل أن ندرك وجود أي كائن بصورة منفصمة عن علاقاته التي تربطه بالآخر» (Todorov، ١٩٨١: ١٤٧). فالوعي الفردي يقوّم الشخصية الإنسانية وهو محور أعماله المستقبلية ويبني هويته وكرامته، إذ يمكن أن ترسم علاقات الأنا والآخر خلال دائرة سيميائية ثقافية تبين حدود ومعالم العلاقات بين الذاتية وما هو يعتبر "ثقافة" أو "لا ثقافة".

فبما أنّ شعر سليمان العيسى يحمل الدلالات المعرفية، فهو «نصٌ» لابدّ أن تدرس شيفراته؛ كذلك الدافع القومي في شعره وكونه نصّا ثقافياً مركزاً على هوية الطفل، جعلنا ندرس صورة الآخر التي يرسمها للأطفال في أشعاره لرسم الكون السيميائي الثقافي خلال أدبه. فهذا البحث على أساس المنهج الوصفي- التحليلي حسب معطيات الدراسات السيمائية الثقافية من منظور لوتمان والعلاقات الحوارية بين الأنا والأخر يحاول أن يعالج الأشعار لكي تطلع على استراتيجية الشاعر كرائد الأدب الأطفال في تشييد الهوية الوطنية للأطفال ونظرته تجاه قضية الوطن.

هذه الدراسة تكشف لنا الدلالات الايحائية للنص، وتمكننا من التعرف على مفهوم الهوية ومكوناتها عند سليمان العيسى. ويهتم المقال بدراسة مفهوم الهوية ومفهوم الثقافة والآخرية أولاً، ثمّ يرسم فضاء الكون السميائي للنص الثقافي الشعري وما يدخل خلاله ويعتبر "الثقافة"، وما يخرج عنه ويعتبر"اللاثقافة". هذا المقال يدرس العلاقات بين الأنا والآخر في الأشعار لكشف معالم هوية الطفل (الأنا) الموروثة والمرجوة والمدعاة؛ ليجيب عن:

١. كيف تكوّن الهوية الوطنية في إطار الكون السيميائي الثقافي لأشعار سليمان العيسى التي ترتكز على الطبيعة وموجوداتها؟
٢. ما هو الآخر وأقسامه في إطار الكون السيميائي الثقافي للأشعار خلال رسم الحدود بين المركز والهامش؟
٣. كيف يكوّن الوعي الفردي للطفل العربي عبر العلاقات بين الذاتية؟

خلفية البحث:

هناك دراسات عالجت أشعار سليمان العيسى منها:

"قرآنيا" (٢٠٠٣) في كتابه "أدب الأطفال في سوريا" عالج أشعار سليمان العيسى وموضوعاتها خاصة ما يتعلق بموضوع التراث والحكايات الأسطورية والصلات التي تربط بين القديم والجديد في شعره. "عبشي" (٢٠٠٤-٢٠٠٥) في رسالة ماجيستر تحت عنوان "التناص في شعر سليمان

العيسى" تناول مصادر التناص وأنواعه في أشعار سليمان العيسى، منها التراث الاسلامي والتاريخي والشعبي، مشيرا الى بعض الأمثلة من أشعاره "اكبرپور" (١٣٩٤ش) في رسالة ماجيستر درس "أشعار سليمان العيسى للأطفال دراسة مضمونية- أسلوبية". وكذلك "سرخي زاده" (١٣٩٥ش) في رسالتها للماجيستر درس "صور الخيال في أشعار سليمان العيسى ومحمود كيانوش دراسة مقارنة"، وفي مقدمة بحثها قد تناول دور شعر سليمان النضالي في تنمية شخصية الطفل وتأهيله لقبول المسئوليات الإجتمائية في المستقبل. "حاجي زاده" والآخرون (١٣٩٤ ش) تناولوا الموضوعات التربوية والتعليمية في ديوان الشاعر معتمدا على المنهج التحليلي والوصفي. قد أشار الباحثون في المقالة الى بعض الموضوعات التربوية في أشعار سليمان العيسى منها اهتمامه بقضية التراث التاريخي- القومي وأثره في الإنتماء القومي لدى الأطفال. وكذلك "ملكة أبيض" (٢٠٠٧م) في مقالتها تحت عنوان "سليمان العيسى في ديوانه الجديد أنا وجزيرتنا العربية" أشارت إلى استلهام العيسى من بعض الشخصيات العربية المشهورة منهم الشعراء الجاهليون وتطرقت الى فكره التراثي واهتمامه بالتراث العربي في أشعاره.

لاقت أشعار سليمان العيسى اهتمام الباحثين لكن ما درست عبر النطاق السيميائي الثقافي بدراسة العلاقات بين الذاتية والمفاهيم التي ترسم معالم الهوية الوطنية للطفل العربي. فيبدو أنّها دراسة مفيدة وجديدة من نوعها.

المدخل النظري

السيميائية الثقافية:

السيميائية بوصفها علما شاملا يدرس منظومة الأنساق الدلالية، أصبحت منهجا قرائيا ونظرية معرفية ولها مدارس واتجاهات عديدة؛ ومنها اتجاه جماعة موسكو-تارتو ومن أعلامه بوريس أوسبنسكي[1] ويوري لوتمان[2] وفلاديمير توبوروف[3]. اعتبرت جماعة موسكو-تارتو سلوك الإنسان تواصلا داخل ثقافة معينة تعطيه دلالته ومعناه؛ وبالإضافة إلى الخاصية التّواصلية للثقافة فإنها تقوم بوظيفة بنائية عبر تنظيم العالم، فالثقافة مركز الوجود الاجتماعي وعلامة النشاط الانساني. (بوزوادة، لا تا: ١٣٤-١٣٥) الدراسة السيميائية

1. Boris Uspensky
2. Yuri Lotman
3. V. Toporov

الثقافية ترسم نطاق الكون السيميائي للنص الثقافي من المركز والهامش في داخله وما يقع خارج نطاقه عبر الحدود السيميائية، حسب أربعة مجالات: «المجال الخارج الثقافي وهو المجال الذي يقع خارج الأفق الفكري للمجتمع؛ المجال المناهض الثقافي وهو مجال معروف لدى أفراد المجتمع ولكنه ضد ثقافتهم؛ المجال الهامش الثقافي وهو مجال الذي يعترف أفراد المجتمع بأنه جزء من ثقافتهم لكنه غير مركزي؛ وأخيرا، مجال المركز الثقافي الذي يعرفه أفراد المجتمع كجزء رئيسي بالنسبة لهم والمعبّر عن هويتهم» (بريمي، ٢٠١٨: ٦٦).

مفهوم الثقافة واللا ثقافة

يميز رواد اتجاه جماعة موسكو-تارتو بين منظورين للثقافة: الثقافة من منظور داخلي أي من منظور ذاتها وهو المنظور الذي يتمثله حامل هذه الثقافة ومستعملها؛ ثم الثقافة من منظور خارجي أي خارج من منظور النظام الذاتي الذي يصفها (بوزوادة، لا تا: ١٣٥). "الثقافة" من منظور داخلي هي نسق مغلق ومفهوم محايث يبدو كلّ ما هو خارج عنها بأنها "لا-ثقافة". "الثقافة" نظام وغيرها الباقي فوضى (لوتمان واوسبنسكي، ١٣٩٠: ٤٢). الثقافة إطار يكسب الفرد هويته من خلالها وهي وحدها تليق بالكون السيميائي الداخلي إذ يعتبر كل شئ خارجه (اللا ثقافة) أجنبياً لابّد أن يبتعد عنه (Lotman، ٢٠٠١: ١٢٤)؛ لكن لا يمكن أن تفهم "الثقافة" بعيدا عن "اللاثقافة" لأن الثقافة ستظل أبدا بحاجة إلى مثل هذا الضد، إذ تبرز الثقافة طرفا يقابل ضدها وبضدّها تتميز الأشياء (لوتمان واوسبنسكي، ١٣٩٠: ٤٢)؛ أي خلال هذه الثنائية المتضادة تبرز الثقافة كجهاز قادر على التحول والتحكم في المحيطين الداخلي والخارجي وتحوّل الفوضى إلى نظام.

الآخرية (الأنا- الآخر[1])

حسب مفاهيم الأنتروبولوجيا حول تصوير الإنسان في العالم وبالتركيز على العلاقات بين الذاتية[2]؛ فعناصر الوعي الخارجية بالنسبة للوعي الفردي ضروريّة لتكملة هذا الوعي. فالآخر يلعب دوراً حاسماً لتقديم تصوّر عام للوجود الإنساني، فمن المستحيل أن ندرك وجود أي كائن منفصما عن علاقاته التي تربطه بالآخر[3] بل في ذات الإنسان، الآخر الذي لا يعتبر

1. Self-other
2. Intersubjectivity
3. Todorov 1981: 147.

موضوعا للمعرفة هو عامل للتعرّف (پوينده، ١٣٨٠: ٧٦)؛ على أساس فكرة باختين، الإنسان رهين الحوار، والثقافة تواصل في مسير الحوار حتى يصرّح القول بـ«إنّني أحقق وعيي الذاتي، وأصبح ذاتي عبر كشف نفسي للآخر عبر الآخر وبمعونته هو» (تودوروف، ١٩٩٦: ١٧٨). فاهتمّ باختين في ضوء نظرته إلى الآخر بإكتشاف الأصوات الأخرى في النص وذلك بالممارسة وردود الفعل التي تجسّد الوعي الإنساني للصوت والمجال الفكري المتباين للأصوات (مكاريك، ١٣٨٨: ٤١٧). والسيميائية الثقافية تتعلق الأكثر برؤية باختين في حوار الأنا والآخر، والآخر ليس الأنا، بل في مقابله، يختلف عنه في الخصائص والسمات؛ إذ معرفة الأنا تتحقق عبر معرفة الآخر وتمييز المفارقات عبر العلاقة الحوارية معه. (أنظر: سنسون، ١٣٩٠: ١٧٣) من هذا المنطلق، فالهوية بمفهوم تحديد مكانة الشخص وخصيصة الانتماء ومعرفة قيمة الذات، تنجز عبر التواصل مع الآخر، وتفهم عبر كشف نوعية العلاقات بين الذاتية لتكوّن خطابا شاملا تنطلق منه مفاهيم المعرفة، وتكسب القيمة الدلالية.

الهوية[1]

الهوية عملية تمييز الفرد وتحديد أصالته الشخصية ومكانتها، فالمصطلح لايحصر في نطاق "الأنا" الشخصية بل يتجاوز إلى صفات تخصّ الجماعة، والسمات والميزات المشتركة لها. الهوية حسب النظريات المعاصرة تعتبر شكلا من هذه الأشكال الثلاثة التالية: (أنظر: نجوميان، ١٣٨٩: ١٢٢-١٢٤)

الأول: الهوية تعني الخصائص المشتركة والسمات المشتركة بين الأشخاص، وتبرز في ترسيم الاختلافات والمفارقات مع الآخر. الهوية ترسيم التشابه والتمايز بين شيئين أوشخصين، ونوعية التواصل بينهما؛ وقد تدلّ على الاندارج ضمن جماعة كما تدلّ أحيانا على الإقصاء. الثاني: هناك الهويات المتعددة التي تتكون عبر العلاقات المختلفة داخل الاطار السيميائي للبنية الثقافية. (وانظر: كاستلز، ١٣٨٠: ٢٤-٢٧) والثالث: عملية الهوية ليست أمراً يكسبه الشخص أو يعطيه أو يلقّيه بل هي عملية متطورة تتحول وتتغير عبر العلاقات السيميائية. كل مجتمع انساني يرسم لنفسه حدود فكرية ثقافية اجتماعية و... والمستويات والطبقات المختلفة، فالمجتمع يعيش في طقوسه ويتبنّاها كالهوية ويمارسها كالمعتقد والثقافة. (وانظر: لوتمان واوسپنسكي، ١٣٩٠: ٤٦)

1. Identity

فالهوية علاقة التواصل بين الأنا والآخر في إطار سيميائي للثقافة عبر ما ترسم من الحدود، إذ يأخذ الفرد سماته وخصائصة الشخصية في هذا الإطار المرسوم؛ رغم أنه قد يحاول على الخروج من المأزق أو يقاوم أمام بعض الحدود المرسومة الموروثة والمدعاة وينطلق نحو الهوية المرجوة ويبحث عن الحرية والذات لتقويم شخصيته. فالفاعل الانساني حسب المتطلبات التي تكوّن هويته، يعلب الأدوار المتنوعة على أساس القيم الايدئولوجيكية التي تشكل الرؤية الوطنية، والهوية الوطنية.

الهوية الوطنية عبر حدود الكون السيميائي للأشعار

سليمان العيسى يولي الإهتمام بالطفل كالفاعل الاجتماعي الناشط ويقصد التنمية العقلية والعاطفية لدى الأطفال (سرخي زاده، ١٣٩٥). إنه يرسم له الهوية بترسيم نطاق سيميائي لنصّه، بعدما يتماهى في الأطفال ويتمازج ويقترب من عالم المتلقين ويتعامل معهم تعامل صديق وكأنّه ينظر الى الأشياء من منظورهم؛ فالشاعر بكل ما يمتلك من المشاعر والأحاسيس تمثّل دور الطفل ، الطفل العربي (وخاصة الطفل الفلسطيني) ثمّ يطلب من المتلقين أن يكيفوا أنفسهم وفق نماذج إبداعه الأدبي بينما يطرح قضايا وطنية من صميمه.

«الرمل الناعم بين يدي/ وأنا ألعب/ أبني بيتا وطريق غد» (العيسى، ١٩٩٩:٨١)

الطفل العربي عند سليمان العيسى ليس منفكاً عن أرضه بل ترتبط هويته بهوية الوطن، وحياته رهينة بقاء الوطن ومستقبله؛ فالنطاق السيميائي الذي يشمل علامات هويته، هو نفس العلامات التي ترسم نطاق الوطن إذ نستطيع أن نسمي هوية الطفل العربي، هي *الهوية الوطنية* كما يقول:«الأطفال جديرون بأن يحملوا الأمانة العظيمة أمانة عودة (الأمة العربية) إلى موكب الإنسانية لتساهم في الإبداع والعطاء مرة أخرى» (العيسى، ١٩٩٩: ٣١).

«طفلة من وطني الأسمر عصفورة/ حب حالمة أقسمت../ تفتح أحضان الفضاء/
للعصافير لأتراب لها الملايين وراء الأفق أتراب لها» (العيسى، ٢٠١٤: ج١/٤٩٥)

بالنسبة إلى "أنا" كالطفل، ترسم حدود الكون السيميائي للثقافة حسب مركزية التراث القومي العربي الوطني وهي تعتبر نواة رئيسة ثابتة تجذب كلّ ما يقويها، ويحترمها ويتمنّى مستقبلا أفضل لها. الشاعر يتحسّر على الوطن ويسمّيه ، "الوطن الأسمر" بما احتمل من العناء والمشقة نتيجة إبعاد الأمة العربية من موكب الانسانية والحضارة التراثية القديمة ثمّ يشبه أطفال العرب بعصافير تتمنّى مستقبلاً أفضل. الشاعر يجد في كل مايرتبط بالأطفال

حتى ألعابهم متصلا بمركز الوطن ويعتبر مظاهر الطبيعة كالشمس والرمل والريح الحية علامات سيميائية تذّكر الكفاح والسير على درب مستقبل أزهي:

«ماذا تقول الشمس في الصباح/ تقول إني أشرق/ لكي يسر الزنبق/ ويضحك الصغار/ ويبدؤون الدرس والكفاح» (العيسى، ٢٠١٤: ١٣٢)

الشاعر بلغته الساذجة يستلهم من حياة الطفولة ويستدعي عناصر البيئة الطبيعية ويرسم المفاهيم الاخلاقية والقيم الانسانية النبيلة للكون، وكأنّه ينوي أن يربّي الأطفال خلال عالمهم ليسكب عليها الخطاب الوطني المقاوم. هكذا تصدر علامات سيميائية دالة مكونة للـ"ثقافة" من داخل الخطاب الأدبي (وانظر: ليونبرگ، ١٣٩٠: ١٢٧). الوطن بما يدخل في صميم الكون السيميائي يرسم الحدود التي تشكل مصفاة قادرة على اقصاء العناصر الخارجية وربمّا على تنقيتها وتكييفها مع ما هو داخلي.

هنا يتثقف المتلقي وهو الطفل ويبني لبنات وعيه في اصطدام المركز (الذات/الأنا= الوطن) والهامش (الآخر) على حدود سمات الدائرة السيميائية المرسومة أو على تخوم حدود علاقاتهما أو حدود ماهو "الثقافة" وما هو "اللا ثقافة". بجانب المركز الثقافي المعبّر عن هوية الذات (الطفل)، هناك المجالان: المجال الهامش الثقافي نعتبره "الآخر القريب" الذي يدخل في إطار نظام الدائرة المركزية للكون السيميائي للأنا (إطار "الثقافة") كقوي الجاذبة للمركز، وكذلك المجال المناهض الثقافي نعتبره "الآخر الغريب" الذي يقع خارج الدائرة السيميائية الثقافية (إطار اللاثقافة) كقوى النابذة للمركز.

التباهي والانتماء الوثيق بالتراث القومي:

الثقافة ذاكرة جمعية تتكون من الحوار بين الماضي التراثي والحاضر. التراث يشمل على قيم وتقاليد وروئ، ولا يعني الانتماء للماضي فقط، بل انه امتداد ثقافي يعايش العصر وينفذ في حياة المعاصرين. (جلال، ١٩٩٧: ١٦) هناك ترابط وثيق بين مفهوم التراث والهوية، فلا هوية دون تراث تتكئ عليه. الهوية الثقافية والحضارية لكل أمة هي القاسم المشترك بين جميع أفراد القوم. التراث عند الشاعر ينبع من *الموروث الوطني وأساطينه وأبطاله*. وهذا قوله في مقدمة ديوانه: «العروبة التي غنيتها ـ ومازلت ـ نسيج حضاري هائل ضارب في أغوار التاريخ تشابكت فيه ملايين الأصول والفروع لتعطي الإنسان أكرم ما أعطاه شعب على وجه الأرض» (العيسى، ٢٠١٤: ج١/١٧). فهو يعتقد أنّ الشعوب العربية المختلفة منذ بداية التاريخ قد ساهموا في بناء الهوية العربية التي أدّت إلى تكوين صفات وميزات مشتركة تدفعها نحو التفاعل فيما بينهم.

التراث القومي هو أهمّ شيء يدخله سليمان العيسى في حدود الدلالات الثقافية للدائرة المركزية للأنا فهو يجعله في صميم المجال المركزي للكون السيميائي. يؤكد العيسى على التراث ليكسب الطفل ثقافته في مرآة التراث الوطني والقومي؛ كأنه يريد تكوين هوية الذات المحاكاتية في مرآة التراث. إذ على أساس نظرية "لاكان" النفسية، الإنسان في المرحلة المرآوية يعرف الذات ويكسب مقومات الهوية المحاكاتية بما أنّها تكون علاقة الطفل مع صورته في المرآة حسب ثلاث مراحل: المرحلة التفاعلية؛ أي يتفاعل الطفل مع صورته في المرآة. ثمّ يحدث انزياح في موضوع صورته كشئ واقعي يتوقف عن مستوى التفاعل. والثالثة: مرحلة التقمص لشخصية الصورة التي في المرآة. (وانظر: فريق من الباحثين، ١٩٩٣: صص١٣١-١٣٤) الطفل في الخطوة الأولى للواقع، لا يملك مقوما مركزيا لهويته، ويدخل في المجال الثاني "المتخيل" ويبدأ ببناء الأنا كـ"ذات" ثمّ ينتقل من الطبيعة إلى الثقافة ويزداد وعيه بعالم داخلي متميز عن "العالم الخارجي" ويبني الذاتية ديناميكيا بوساطة الخطاب.

يحاول الشاعر أن يستفيد من صورة الآخر الوطني القومي والعربي لتكوين مقومات الهوية المحاكاتية للطفل ليرى صورة أخرى للذات، ليقوم بدوره؛ إذ يختار أسماءا من القبائل العربية القديمة كـ"كنده" و"كنان"[١]. (العيسى، ١٩٩٩: ٦١)

> «إسمي من أحلى الأسماء/ إسمي جاء من صحراء/ كنت أناشيدا في نجد/ كنت أميرة/ صرت الطفلة وغدا تكبر/ تكبر كندة/ وهي صبية/ تكسر باقية الأغلال/ تزهر في وطن الأطفال» (العيسى: ١٩٩٩: ٦١)

الانتماء إلى الصحراء في عصر الحضارة المدنية والتباهي بالأمجاد الماضين يزرع في الطفل السيادة والشرف. وهذه الأمجاد لاتتعلق ببقعة عربية دون بقعة أخرى كما الوطن العربي يشمل جميع الشعوب العربية. إنّه يختار شخصيات ومواقف تاريخية مضيئة ويتعامل مع التراث معاملة انتقائية ليكوّن الهوية المرجوة للطفل؛ بما أنّ الهوية يكوّنها الخطاب المسيطر المهيمن على فكرة ومنهج حياة المتلقين وتستمر حياتها بالاستفادة من التاريخ وعنصر الزمان. (كاستلز، ١٣٨٠: ٥) فالتاريخ العربي بأحداثه يشكل محورا وضّاء في شعره إذ يفصح عن موقفه من تزاحم الإنكسارات والهزائم المذلة على أمته. (عبشي، ٢٠٠٥: ١٤٧)

---

١. كندة وكنان قبيلتان عربيتان، قبيلة كنانة كانت تسكن قرب مكه ولها بطون اشرفها قريش وكنده من القبائل القحطانية اليمنية ثم هاجرت الى شمال وسكنت نجد وكان لأشعث بن قيس من عظماء القبيلة دور فيما وقع بداية البعثة. (كحاله، ١٩٩٤: ج٣٦٣/٥)

الشخصيات التراثية عند سليمان نماذج دلالية يستخدمها في خطابه الشعري كالشيفرات الثقافية ليقوي مركز الكون السيميائي وليوحي الأطفال الحيوية والتفاعل؛ إذ «لا وجود لخطاب مفهوم خارج عمل الشيفرة» (Hall، ١٩٧٣: ١٣١). عندما يتحدث الشاعر في خطابه الفاعل عن بعض النماذج التراثية ومنهم الشعراء المتشائمين كالمعري وغيره، يعمل على تعديل القناعات. إنّه ينظر إلى التراث بنظرة إيجابية ويهتم بتغيير نمط الحياة المعاصرة بالاتكاء على مقومات إيجابية يمكن الاعتماد عليها؛ وكما يقول قرآنيا إنّه في بعض ما كتب عن المتنبي يغير ويبدّل بعض الكلمات التي لم يعجبها (قرآنيا، ٢٠٠٣: ٦٥). إنّه لم يأت بالحقائق التراثية كما كانت، بل ينقّح صورة التراث وينحاز إلى الشخصيات التراثية الذين يوحون الكفاح والقدرة. إنّه يستلهم صورة "أسامة بن زيد" القائد الشابّ الذي أرسله النبي ﷺ مع جيش إلى الروم رمزا للشجاعة:

«أنا أسامة/ نداء الكرامة/ أنا العربي أنا ابن الشهادة/ أيعرف مني أسامة أحد/ وأحد الأطفال يجيب: نعم أنا أعرف» (العيسى، ١٩٩٩: ٢٠٨)

هكذا يظهر مثل هذه الشخصيات كقدوة ليصوّر الطفل نفسه في مرآتهم كالأنا ويحاكيهم ويقتدي بهم. التأكيد على الأنا يحتفل بالعلامة السيميائية المنشودة؛ فأنا الطفل هو أنا البطل الذي يكافح. والشخصية العربية من سلالة الشهداء. الطفل العربي يتمازج مع هؤلاء الأبطال الباسلين ويعيش معهم ويحترمهم كقوى الجاذبة للمركز السيميائي لهويته الوطنية إذ يقدّم "ابو الفراس الحمداني" سيفه الى الأطفال بما يراهم يليقون بذلك:

«أهدي إلى الأطفال سيفي/ إلى الأطفال/ أنتم جنودي الآن/ يا أيها الشجعان» (العيسى، ١٩٩٩: ٣٥١)

فالذاكرة الحية للتراث عند سليمان العيسى جعلته يطرح القضايا التي تشغله عن طريقه باستخدام شخصياته كرموز تعبّر عن المشكلات الازلية للمجتمعات العربية بل البشرية. (أبيض، ٢٠٠٧: ١١٩)

ليست الشخصيات التراثية الميراث الوحيد الذي يدخل في مركزية الكون السيميائي في نطاق الأنا في مركز الشيفرات السيميائية بل الأشياء، والحيوانات، والأماكن، تكسب خصيصة الذات عندما ترتبط بتمثيل أمجاد العرب. فيدخل الحصان العربي في نطاق العلامات الثقافية بمميزاته من صفات الجمال والشجاعة في المعارك، لذلك بينه وبين أبطال

العرب والمعارك العربية علاقة قديمة ووطيدة. فأصبح الفرس العربي علامة الفخر والمجد ورمزا للشجاعة والحرية:

«الحصان العربي/ موطن الفرسان ظهري/ لا تبيعوا كبريائي/ للغزاة الغرباء/ أنا رمزا للإباء» (العيسى، ١٩٩٩: ٣٤٥)

الحصان العربي يتكلم بضمير المتكلم ليدخل في حيز الأنا بكل كبريائه وشموخه حسب علاقاته الوطيدة القديمة مع الفرسان الشجعان وانتمائه بالآباء الماجدين. وكذلك الأشياء والبنايات القديمة المتبقية من الحضارة العظيمة التي بناها أجداد العرب منها قصر "الحمراء" في "غرناطة" يدخل في نطاق الذات والمركز، ويكوّن الهوية الوطنية على امتداد الزمان والمكان:

«إني سليل الشمس رمز الفخار/ ومن هنا جاء اسمي الأحمر/ أنا وأجدادي حملنا النهار/ إلى بلاد لم تكن تبصر» (العيسى، ٢٠٠٦: ١٨٤)

الشمس والنهار أي الحياة تنتمي بهذه النماذج التراثية الى الفخر والشرف، ويعبّر عنها بـ"الأنا" ويدخل ضمن نطاق الذات بالاستعانة من ضمير المتكلم. (أنظر: العيسى، ٢٠٠٦: ٨٥) فتمظهر الروح القومية بشكل واضح في معظم قصائد العيسى. فالقوم ليس قومه فقط والوطن ليس سوريا فقط بل هو شاعر القومية العربية برمتّها.

«هذه يا شاعري تحيتي/ إلى براعم العرب/ لكلّ أطفال العرب/ تبدأ من دمشق/ ثمّ لا أعرف أين ينتهي/ الوطن الكبير في قلوبنا يبدأ وفيها ينتهي» (العيسى، ٢٠١٤: ج٣/٧٠)

هكذا تناولت قصائده الوطنية حب الوطن والإعتزاز بالانتماء إليه والتغني بجماله ووفرة خيراته وهو أرض الأجداد التي يجب الدفاع عنها وبذل أقصى الجهود في سبيل اعتلاءه وتعظيمه؛ مثل قوله:

«لي مهرة عربية/ لو شئت لبّت لي ندائي/ لابد أعطي مهرتي، يوما مفاتيح الفضاء/ وأطير.. حتى ألتقى نجمي المفضّل في السماء» (العيسى، ١٩٩٩: ٤٤٩)

الشاعر هنا يجسّد نفسه في لغة الطفل ويحلم أن يطير هذا الجيل الآتي عبر التراث في الفضاء الرحب نحو مستقبله المنشود ويستخدم الأفعال بصيغة المتكلم وحده (شئتُ/ أعطي/ أطير/ ألتقي) بما توحي نشاط وفاعلية لهذا الجيل. فرغم أن سليمان يستخدم التراث رمزا لحضارة العرب القديمة الباهرة وجزءا مهما من الهوية العربية التي تساهم

في بناء المستقبل، غير أنه لا يريد الوقوف عند القديم. التراث عنده كجسر يعبر الجيل القادم من خلاله إلى مستقبل أفضل؛ وهذا قوله: «لقد تعودنا دوما إلى الحنين إلى الماضي، أمّا أنا آثرت الحنين الى المستقبل منذ أمد بعيد» (العيسى، ٢٠١٤: ج٢/٣٨).

هكذا يتقوّى مركزية الكون الثقافي بالتراث القومي والشخصيات والمعالم المستدعاة منه، إذ تكثف النواة المركزية للوطن في الكون السيميائي المرسوم لهوية الطفل حتى يصبح التراث نفس النواة المركزية.

سمة العلاقات مع "الآخر القريب"

قواعد الدائرة المركزية لـ"أنا" ترسَم حسب سمات وخصائصٍ لها حمولة دلالية وإنّها تكوّن ثقافة الطفل ووعيه الانساني. فالهوية في هذا النظام السيميائي هي تشخيص التمايزات والمفارقات مع "الآخر القريب" (الثقافي) موضعا لتداخل الثقافات عبر تعاملات الأنا الثقافي والآخر الثقافي. (أنظر: ليونبرگ، ١٣٩٠: ١٣٣) الكل يعيش عبر العلاقات الحوارية؛ لأن الوجود الحّي يقوم على المبدأ الحواري (Clark & Holquist، ١٩٨٤: ٦٥) ، فبما أن الآخر القريب هنا هو الذي لا يستوعب مكانا ولا تتمّ معرفته عن طريق كونه خارجيا حسب اعتقاد باختين بل هو "الآخر الداخلي"[1] وهو جزء ضروري في نطاق الإبستمولوجية في المجتمعات البشرية. (سنسون، ١٣٩٠: ١٨٨-١٨٩)

هناك سمات وخصائص ترسم لتبيين نوعية علاقات "الأنا" و"الآخر القريب" داخل إطار الثقافة، وفهو يدخل في داخل الكون السيميائي وتنطلق العلاقات الحوارية معه من خلال القوى الجاذبة للمركز؛ إذ يكسبه الطفل كعلامات سيميائية ثقافية ثابتة خلال هويته المرجوة ويهتمّ بها، ومنها:

أ) التفاهم والتوحّد مع الآخر

الشاعر لم يرسم فقط إطارا داخليا سيميائيا ثقافيا للأنا على مدى نطاق الحياة وما فيها من السمات والخصائص بل يوسّع نطاق هذه الدائرة المركزية إلى مدى يتجلى فيه *روح الحنان والمؤاخاة والتفاهم* فيجعلها رمز الحياة والبؤرة المركزية لهوية الطفل الوطنية؛ فكلّ ما تجري فيه ملامح الحياة يدخل في حيز الأنا في إطار الدائرة المركزية للكون السيميائي الثقافي لكي يعتبره الطفلُ الثقافة. حق الحياة بكل ما فيها من الحركة والحنان والصداقة

1. Inner Other

حق كل حيّ لابد أن يحترم. عناوين الأشعار تؤكد على هذا الجانب مثل "الحب هو الأقوي"، و"تبقى نبضة الحب". بما أن الاطفال يحبون العالم بأكمله ويتعاملون مع الحيوانات والطيور معاملة حميمة ينشد الشاعر عن لسانهم وكأنّه يتمثّل بهم ويقول في "أغنية الطيور":

«نحن الطيور/ نزين السماء/ ونملأ الفضاء/ بالأجنحة/ إذ نبدأ الغناء في السحر ونسكب الألحان/ ... ونزرع الوئام والحبّ والسلام» (العيسى، ٢٠٠٩: ٨٦)

فهذا الإنسان الذي يتغنى عبر لسان الطيور هو سفير *الحياة والحب والسلام* لاتطيق الظلام والضيق والكدر. هذا الحبّ هو رمز الحياة والشاعر يؤكد عليه بما يثيره من روح التعاون والتفاهم وقبول البعض والتعايش ليكون أبناء أمة واحدة موحدة.

«الحبّ هو الأقوى/ الحبّ هو الأجمل/ الحبّ يضيء لنا خطوات المستقبل/ الحبّ يوّحدنا ويبارك ما نفعل» (العيسى، ٢٠٠٩: ٩١)

هذه الأشعار ترسم معالم الأطفال وطموحاتهم الحوارية في التعايش مع الآخر الداخلي القريب. الحوارية هي ركيزة العالم السيميايي الثقافية؛ ولا تعني الاندماج والاختلاط في الآخر بل كل منهما يحافظ على تفرده. (Bakhtin، ١٩٨٦: ٧)

بالتعامل الحواري يوسّع مجال النص إذ يتيح النصُ للحيوانات مجال القول بما هي حمولات دلالية فالآخر يستطيع أن يتكلم ويدافع عن نفسه بلغته من منظوره ليدخل في نطاق الدائرة المركزية الثقافية للأنا وفي العلاقات الحميمة مع الأنا. الشاعر يؤكد على قضية التعامل والمفاهمة في أشعاره المعنونة بـ"حمار يدافع عن نفسه" (العيسى، ٢٠٠٩: ٧٧) "الثعلب يدافع عن نفسه" (العيسى، ٢٠٠٩: ١٧٠) "السلحفاة تدافع عن نفسها" (العيسى، ٢٠٠٩: ١٨٢) إذ يمهد الأرضية الحوارية للآخر الذي قد يعتبر غيراً بأسباب مختلفة، منها بما يفقد سمات الحياة مثل فقدان الذكاء في الحمار والإخاء في الثعلب والحركة في السلحفاة لكن الشاعر يدخل هذا الغير في صميم الأنا ويسمح لها أن تتكلم كـ"الأنا":

«أنا السلحفاة.. عندي/ تأملاتي وصمتي/ ... ولي جمالُ حياتي» (العيسى، ٢٠٠٩: ١٨٢)

الخطاب الأدبي يتيح لهذه الحيوانات مجال الحجاج ويسمح لها القول لتدافع عن نفسها ليقبلها الأنا ويدخلها في حيزه الثقافي. هكذا يتثقف الطفل ويربّي على روح المؤاخاة ليتحمّل الآخر الذي يعيش بحانبه. فهذا المثقّف يستطيع أن يتخيل نطاقا اوسعا للكون الذي يشمل البشر بمختلف أنواعه وأجناسه، بمختلف الرؤى والأفكار.

«ما أجمل الحياة!/ ما أجمل البشر/ من دونهم لا شيء/ إلا الغمّ والضجّر»
(العيسى، ٢٠٠٩: ١٦٨)

يستلهم الشاعر روح الايثار والرحمة من الطبيعة ليعلّم الطفل روح التعامل مع الآخر الغيري الذي يعيش بجانبه وهو جزء لا يتجزأ من ثقافته ليكوّن معالم حياته المستقبلية.

«ما أجمل العطاء/ تسمو به الحياة/ ... يا غيمة تعطي المطر/ ويسكب الضوء التمر/ ما أجمل العطاء» (العيسى، ٢٠٠٩: ٩٧)

هكذا التعاون بين الأنا والآخر في ساحة الحياة يتجلى في صورة "نحن"؛ فكل رموز الحياة تنشد خلال لغة "نحن"؛ كما يقول:

«إنّي أحمل الدنيا/ بقلب أحمل الدنيا/ أحسُّ الناس في قلبي/ معاً نسعي معا نحيا» (العيسى، ٢٠٠٩: ٩٤)

فيؤكد الشاعر على أنّ الإنسان بما هو الإنسان، بما هو يحيى ويعيش لابد أن يتمتع بخصائص الحياة ولابد أن يحترم الغير ويهب له فرصة للتكلم والتعايش. فمجال الهامش الثقافي للآخر القريب يدخل في الكون السيميائي بالحوار مع مجال المركز الثقافي ويجذب إلى المركز وهو الهوية الوطنية للطفل.

ب) التفدية لأجل الآخر من النظام العائلي

الشاعر يولي اهتماما بارزا بمكانة الأسرة وخاصة دور الأباء والأمهات في تربية الاولاد وبناء هويتهم الفردية والإجتماعية وفي تنمية الروح الوطنية والانتماء الى القيم الإجتماعية. الأسرة لابد أن تحافظ على القيم والتقاليد الموروثة وانتقالها إلى أبنائها. الشاعر يؤكد على ضرورة علاقة الكبار بالصغار ودورهم الفاعل ويقول: «دعوا الطفل يغنّي بل غنّوا معهم أيها الكبار» (العيسى، ١٩٩٩: ٦).

الأسرة المنشودة عند سليمان العيسى تقوم على أسس الكفاح وحماية الوطن إذ تعتبر القوة الأخرة الجاذبة لمركز الكون السيميائي. الأم تربّي الأبطال المناضلين في حضنها الحنون وهي تغضي العيون عن ولدها الحبيب لتستسلمها للوطن.

«يا بسمة الاله/ يا رحمة الحياة/ يا قلب أمي أنت من تسع البشر/ يا قلب أمي يا معين الحب والجمال/ يا صانع الأبطال في معاقل النضال/ ... علمتني الفداء تحت خفقة العلم» (العيسى، ١٩٩٩: ٢٧٨)

الأمّ تربي وتنشأ البطولة وترسّخ جذور القيم الوطنية *كالفداء والكرم والإباء* في نفوس الأطفال، حيث تعينهم على المشاركة بفاعلية في الحياة الإجتماعية. تترسخ في نفس الطفل القيم التي تنقل إليه من جانب أبويها. حسب القوة الجاذبة لمركز الكون السيميائي، فأنشودة الوطن تتغني عند مسامع الطفل حتى يكبر في ظلال آمال الوطن وأمنياته؛ وهذه كلمات على لسان أم يرى طفلها واعدة للمستقبل:

«الطفل: ماذا تحمل ماما الحلوة؟/ ماما: أحمل وردا أحمل سكر/ للغالي للوعد الأخضر/ طفلي يكبر/ وطني يكبر الطفل: أنا يا ماما/ الوعد الأخضر/ وطني يكبر/ وأنا أكبر» (العيسى، ١٩٩٩: ٤٩٢)

الوعد الأخضر هو المستقبل الزاهر النضر. أُمنية الأنا الطفل هي نفس أمنيات الوطن. العزّ وسيادة الولد لا يفارق سيادة الوطن. دور الأم العربية هنا في بناء الهوية الوطنية دور فاعل، فهي بقوة إرادتها وعظمة ايمانها بالمستقبل وصمودها أمام صعوبة الأيام وحنانها ودفئها، تزرع بذور الأمل في قلوب الأطفال لأجل المقاومة تجاه الأعداء. الأب لا ينسى مستقبل الوطن ولايترك لاطفل وحيدا بل يهتم به ويسلّم لواءه لطفله ليتابع نهجه في الكفاح الوطني إذ يتقوّى الهوية الوطنية كنواة الكون السيميائي. الطفل الفلسطيني ابن أو ابنة شهيد يرفع لواء أبيه ويرث سلاح الإيمان ومعتقدات أبيه لرسم مستقبل أخضر للوطن.

«أنا ابنة الشهيد/ أبي الذي افتداك/ سلّمني لواك/ أنا هنا سلاحه/ أنا هنا ايمانه وزحفه الجديد» (العيسى، ١٩٩٩: ١٨٢)

الطفل الذي يتكلم بلغة "الأنا" لا يفارق الأب بل يأخذ ميراثه ومواهبه وهو يجاهد لأجل مستقبل الاسرة بل لأجل مستقبل الوطن:

«لي ولأجل الوطن الغالي/ يعمل بابا دون ملال/ بابا يتعب حتى نكبر/ نحن نبني وطن الأكبر» (العيسى، ١٩٩٩: ٤٥)

الأب المثالي عند العيسى هو الأب المجاهد الشهيد الذي يعلّم أولاده التضحية والفداء لأجل الوطن الغالي. والوطن والطفل يدخل في حيز النطاق السيميائي المركزي، بما أنّ حياة الطفل رهينة حياة الوطن وفاعليته.

«يحيا الوطن/ نحن الوطن» (العيسى، ١٩٩٩: ٤٢)

من هنا بين أحضان الأم والأب يكبر الطفل ويتعلم المجاهدة والكفاح ويعرف طريق الانتصار ويقدر على انقاذ الوطن.كل هذه الشيفرات السيميائية التي تشكل نطاق الأنا

الثقافي في إطار الأسرة تدلّ على *البسالة والكفاح* لاعتلاء الوطن لئلا يتركه يمّحي في ظلمات مصيرة الاحتلال والغصب.

ج) التعاضد الجماعي

حسب منظور الشاعر يلعب جميع أفراد المجتمع أدوارا هامة ذات تأثير بالغ على مستقبل الوطن. المجتمع كـ"الآخر القريب" في إطار النظام السيميائي الثقافي يتعاون مع الأنا، لتعزيز مركز الكون السيميائي لهويته ويهب الوطن إعتزازا. فمصيرة المجتمع بيد أبناءه.

«حجرا حجرا/ نبني الوطنا/ نصل الأفاق/ يا درب الوحدة مرّ بنا/ هز الأعماق» (العيسى، ١٩٩٠: ٢٥٢)

كل أفراد المجتمع يحملون عبء المسئولية تجاه بلدهم، فيهتمّ الشاعر بجميع المشاغل الفاعلة في بناء المجتمع، ويقدمهم إلى الأطفال متمنياً مستقبلا أحلى.

«الحقل الأخضر صنع يدي/ وأنا فلّاح يا بلدي/ وأرش ترابك من تعبي» (العيسى، ١٩٩٠: ٥٥)

كلمة "فلّاح" يدل أصلا على معنى "الفلاح" أي الفوز والإنتصار، ويدلّ كذلك على معنى صاحب شغل الفلاحة، والشاعر يقصد في هذا البيت المعنيين. الفلّاح بممارساته ونشاطاته يسبب الخير والبركة والفوز والإنتصار للبلد. فبعدما اتّحد نطاق الأنا كهوية الطفل مع نطاق الوطن وأثبتت كالهوية الوطنية في مركز الكون السيميائي وبعدما امتزج مستقبلهما معا وبعدما أصبحا النظام السيميائي الثقافي الواحد، فكلّ من يلتصق بالوطن كالآخر القريب يدخل في نطاق الذات (الأنا)؛ فإذا ينادي الفلّاح الوطن «بلدي» ويتحدّ معه، فالطفل يقبل رأيه ويحترم جهده ويتمسك بطريقه في السعي لمستقبل أفضل للوطن. الشاعر يعتقد بأنّ الوطن ينتقم من كل من يأخذ منه أشياء ولا يعطيه شيئاً:

«هيا يا وطن المستقبل/ حاسب حاسب من لا يعمل» (العيسى، ١٩٩٩: ٨٦)

الوطن ككون سيمائي يحتضن كل من (الأنا الثقافي والآخر الثقافي) يعيش على أرضه بوجه التضامن والإخاء؛ لأن كل أفراد الشعب يجب أن يوفرون أرضية مناسبة لنمو المجتمع وتطوره. لذلك يشجع الشاعر دائما الأولاد على الإخاء والمحبة ومساعدة الآخرين:

«النور للجميع/ الحب للجميع/ وأرضنا السمراء/ والخير والعطاء/ لابد أن يكون للجميع» (العيسى، ١٩٩٩: ٦٢)

وكذلك يريد العدالة لجميع الناس مخاطبا وطنه:

«وتوزع ظلّك بالعدل/ وللناس جميعا بالعدل» (العيسى، ١٩٩٩: ٢٤٨)

هكذا نطاق الدائرة المركزية للكون السيميائي الثقافي للأنا (الطفل) يتكوّن من السمات التي أشرنا اليها في حدود الوطن فهو يتعلّم الصفات الهامّة التي يلزم أن ينشدها من الحيوية، النشاط، العدالة، الكفاح والمقاومة من البيئة الصامتة والمتحركة ومن الأسرة والمجتمع. فهو ينشأ على العلاقات الحميمة مع الآخر القريب في إطار دلالات الكون السيميائي الثقافي الداخلي ويستدعى الشيفرات الثقافية من تراث الأمجاد الماضين ويتعاون مع أبناء الوطن الذين يعيشون بجانبه في ظلال الوطن ويتوحدّ معهم ويكوّن الأنا الواحدة الكبيرة القادرة والفاعلة على الحفاظ على حدود الوطن ومجده وكرامته.

سمة العلاقات مع الآخر الغريب

تشكل علاقة الأنا بالآخر أهم مظاهر الوعي للذات (گرام، ٢٠٠٧: ٤٧)، لكن نوعية علاقات بيناذاتية تختلف حسب نوعية الآخر؛ فاذا كان الآخر، آخرا ثقافيا من صميم إطار ثابت ومغلق للثقافة فيمكن التحاور والتعاون والتوحد معه لأجل تعزيز الهوية الداخلية وهي هنا الهوية الوطنية؛ فالطفل يقوم بجانب رعايا وطنه لأجل إعتلاء الوطن. الثقافة في هذا الخطاب الأدبي القومي المنشود هو "النص الثقافي" تكوّن مما يرتبط بالوطن ويعزّز كيانه ممّا يشعر خلاله بالفرح والراحة والاطمينان؛ أمّا كلّ شيء يزعزع كيانه ويهبه الخراب والموت يعتبر أمرا غيريا هامشيا كقوة النابذة للمركز لابد أن يخرج من الكون السيميائي المرسوم إذ يقع على حدود الإطار اللا-ثقافي. فالآخر الغيري الغريب بعيد عن دلالات سيميائية جاذبة لمركز الكون السيميائي الثقافي، فهو يعتبر خارجيا، عاملا للفوضى وغير موثقٍ، لابد من أن يزول ويمّحل.

د) القضاء على الآخر الغريب المعادي لسمات الحياة

بما اكتسبت الدائرة السيميائية الثقافية المركزية لـ"أنا" سماتها من البيئة الطبيعية الصامتة والمتحركة فترسم ملامح الآخر الغيري البعيد بمساعدة هذه البيئة أيضاً. الوعي للذات يكسب مقوماته من البيئة أولا ويدرك أنّ الآخر الغريب بعيد من روح الحنان والحب والعطاء والحرية والجود ونموذجه الذئاب التي تهاجم حملاً صغيرا:

«لماذا تكونُ الذئاب نعيشُ بخوفٍ../ نموتُ بخوفٍ../ ولم نجنِ شئياً/ ولم نُؤذِ حياً» (العيسى، ٢٠٠٦: ١٧٩)

هذا الحيوان المفترس يعدّ تهديدا للحياة، إذ الشاعر يشك في حق حياته بل يريد عدم وجوده بصورة غير مباشرة ليواكبه الطفل. هكذا نرى في موضع آخر يواجه في وجه مثل هذه الحيوانات وينشد عبر لسان الحجر وهو رمز المقاومة الفلسطينية في أيدي الأطفال فيتكلم ويقول:

«أنا الحجر/ أنا الحجر/ أشيد المنازل الجميلة/ ... أحمي البشر/ أعطيهم السلام والأمان» (العيسى، ٢٠٠٦: ٨٠)

هذا الحجر في نطاق سمات الأنا يدافع عن معالم الحياة والسلام والأمان والألفة والتودد ويبرز خصائصه في تشييد الأبنية لحماية البشر وايجاد فضاء دافئ حميم فإذا كان من القوى الجاذبة للمركز وتعايش مع الأنا على الودّ والمحبّة في إطار مركزية الوطن، فلا بأس من وجوده؛ لكنه إذا أصبح من القوى النابذة للمركز فلايمكن احتمال وجوده، والحيوان المفترس يعتبر الآخر الغريب الطاغي الذي يهدّد حيوية الكون السيميائي إذ لابد من القضاء عليه بمساعدة الآخر القريب وهو الحجر.

يحترم الآخر القريب بكل صفاته وسماته النواة المركزية -كما ذكرنا عن الحيوانات التي تدافع عن حق حياتها وتدخل في حيز الأنا- لكن الآخر المعادي الغيري الغريب يعتبر كحيوان مفترس وهو يهدّد الحياة، فلابّد أن يقاوم في وجهته؛ مثل الحية التي يشجّ الحجر رأسها ليسلم من خطرها:

«أنا الحجر/ أكون أحيانا سلاحا رائع الأثر/ ... أشجُّ رأسَ حيةٍ أصدُّ بطشَ غزوةٍ/ وأدفعُ العدوانَ والضَّرر» (العيسى، ٢٠٠٦: ٨١)

الهوية تعني النظر إلى الذات والآخر وإلى الداخل والخارج وكشف سماتهما (خرم، ١٣٧٨: ١) فههنا يميز الآخر الغيري البعيد بكل سمات سيمائية مغايرة مع سمات الأنا فهو يتعلق باطار فوضوي ويصف بأنّه غريب ومحتلّ وطاغي:

«وجوه غريبة/ ... وتحتل داري» (العيسى، ١٩٩٩: ٤٧)

هكذا كل المظاهر الطبيعية التي كانت تكسب الحيوية والنشاط في إطار السيميائي المركزي في نطاق الذات، تفقد الحيوية في نطاق الآخر الغريب. الطفل الذي ينشأ على الحنان، يواجه في وجه معادي الوطن والحياة. يؤجج الشاعر نيران أحاسيس الأطفال بما يسلب العدو منهم ويغار عليهم ويحتل موطنهم؛ فهذا الغيري الغريب المحتّل المعاند يرفض ويحذف ولا يمكن أن يتحاور معه إذ يعتبر من حق أبناء الوطن أن يقاوم أمامهم، يواجههم ويقاتلهم بكل ما لديهم من السلاح:

«إنا هنا، يا غابة الرّماح/ ياصرخة الشهيد/ عن أرضنا عن حقنا نقاتل»
(العيسى، ١٩٩٩: ١٣٦)

أمّا السلاح الذي يجب أن يتزود به الطفل دفاعا عن وطنه وكيانه وهويته القومية فتارة العلم وتارة النار:

«الويل لمن سرقوا داري/ النار تقاوم بالنار» (العيسى، ١٩٩٩: ١٢٨)

من هنا يتربّى الطفل الحنون على روح الجهاد والمقاومة، ومنه قوله:

«أنبأني طفل/ من صغيرٌ/ كان في جيبنه القمر في يده زنبقة بيضاء/ في الأخرى حجر/ قال أنا من غزّة/ أتيتُ للتوّ من القتال/ من ساحة النضال../ ألا ترى في يدي الحجر؟/ وهتف الصغار للطفل/ والزنبق والحجر../ كانوا من القدس من بغداد من دمشق ومن صنعاء../ من كلّ نبض عربيّ قدموا../ هدية السماء للأرض..» (عيسى، ٢٠١٤: ج٢٨٥/٣)

الطفل الذي يحمل في جبهته ضياء القمر وفي يده زهرة زنبقة بيضاء وهي رمز للطهارة والعصمة من الذنوب لا يغفل عن حمل الحجر وهو سلاحه للدفاع عن كيانه في ساحة الكفاح والنضال. فهناك نوعان للعلاقة بين الأنا والآخر: علاقة الحب والمحبة بالنسبة للآخر القريب الداخلي، وعلاقة العداوة والمخاصمة مع الآخر الغريب المعادي الخارج من الإطار السيميائي للثقافة والذي يزعزع كيانه. الآخر القريب لا يحصر في إطار الوطن السوري بل إنه من جميع الأقطار العربية. أمّا الآخر الغريب والعدو الغيري يتجسّد تماما عند الشاعر في صورة العدو الصهيوني المغتصب وهو المحتلّ البقعة العربية والمتطاول على الحياة والحيوية. فـ"فلسطين" وطن كل العرب، ولا سبيل الى انتصار قوم العرب أمام العدوّ إلّا بعد نصرة فلسطين وتحريره من الآخر الغيري:

«فلسطين داري/ ودرب انتصاري/ وجوه غريبة/ بأرض سليبة/ تبيع ثماري/ وتحتل داري» (عيسى، ٢٠١٤: ج٤٧/٣)

عبارة "فلسطين داري" تسهم في تكوين علاقة الطفل بالأخرين الأقرباء إذ إن الدار أو البيت مكان أليف للطفل يشعر بالراحة والمحبة فيه وكذلك البيت يثير مشاعر الملكية لدى الطفل لذلك استخدام لفظة الدار هنا يجعل الطفل يبرز حبه تجاه بلده العربي بكامله. (حاجي زاده وآخرون، ١٣٩٤: ٨١)

كذلك ينشد الشاعر بلسان طفل فلسطيني تعبيرا عن عمق حزنه تجاه وطنه واصفا طبيعة مدينة "صفد" مدينة جميلة من المدن الفلسطينية قبل هجوم العدو الصهيوني عليها ليشاركه في همومه:

«بلدي المحتل فلسطين/ لم يزهر فيه الليمون/ .../ مرعى للموت وللنار»
(عيسى، ٢٠١٤: ج١٢٧/٣)

فحزن الطفل الفلسطيني حزن العرب بأجمعهم وقضيته قضية جميع العرب فالأنا الجماعي العربي الذي قد ثقّفه النصّ الشعري في النظام الداخلي السيميائي على شيفرات توحي الحماية عن الوطن بالتعاون والتعاضد والتضحية مع الآخر القريب، وبالمقاومة أمام الآخر الغريب وهو العدوّ الصهيوني وكلّ متجاوز يهددّ كيان الوطن.

النتائج

من خلال دراسة أشعار سليمان العيسى للأطفال دراسة سيمياية يوصل البحث إلى النتائج التالية:

سليمان العيسى، شاعر الأقطار العربية يربّى الطفل ويرسم إطارا سيميائيا لهويته معتقدا أنّ هوية الطفل تتصل اتّصالا تامّا بهوية الوطن. لذلك العلامات التي يرسم لنطاق هويته في إطار سيميائي هي نفس العلامات التي تحدّ نطاق الوطن. لذلك الشاعر يجد في كل ما يرتبط بالأطفال منه الألعاب، والطبيعة الصامتة والمتحركة والأسرة مضمونا متصلا بالوطن؛ إذ يصبح الوطن نقطة ركيزة والجو الرئيس في الكون السيميائي الثقافي.

ترسم "الأنا" كبؤرة الكون السيميائي خلال المعالم الثقافية للوطن، فالهوية الذاتية للطفل تلتصق بالهوية الوطنية إذ الوطن يصبح نواة الكون السيميائي ومركزه. هنا يستدعى الشاعر التراث القومي والشخصيات التاريخية والأمجاد ليدخل في العلاقات الحوارية البنّاءة للثقافة، إذ يكثف التراث العلامات السيمائيةَ في مركز الكون السيميائي. هكذا تتقوى هوية الأنا في مرآة التراث ليحاكيهم ويأخذ سماتهم ويراعي مجدهم وكرامتهم.

يطرح قضايا الوطن في نظام الكون السيميائي الثقافي عبر العلاقات الحوارية بين "الأنا" و"الآخر القريب" في إطار المجال الهامشي للثقافة كأنه جزء لا يتجزء من الثقافة و"الآخر الغريب" في إطار المجال المناهض للثقافة وهو اللا ثقافي أو ضد الثقافي، لابدّ أن يخرج من الكون السيميائي الثقافي للطفل.

في نطاق الكون السيميائي الثقافي للأنا، يدخل "الآخر القريب" كقوى الجاذبة للمركز وهو من أبناء وطنه في العلاقات الحوارية مع الأنا ويكسب حق الحياة بما ينتمي إلى سمات الحياة من الحيوية، الحركة، الجمال، الحبّ والحنان. يتفاعل الأنا مع الآخر القريب ويقبله ويسانده ويتوحدّ معه بروح التعاون والتودّد ليحافظ على الوطن. يدخل كل ما تجري فيه ملامح الحياة في إطار الأنا أي في حيز الكون السيميائي الثقافي. كما يلاحظ أنّ الطفل يقوم بالتعامل مع الحيوانات والطيور معاملة حميمة حتى يتيح للحيوانات مجال القول والدفاع عن نفسها بلغتها ويقبلها لتدخل في نطاق الكون الثقافي للأنا وفي العلاقات الحميمة معه كقوى الجاذبة للمركز. هذه الحيوانات تعتبر الآخر ولكن القريب من الأنا وهو "الآخر القريب" بما تفتقد سمات الحياة مثل الذكاء في الحمار وعدم الإخاء في الثعلب ولكنها تدخل في دائرة الكون السيميائي الثقافي. إنّ للأسرة خاصة للأبوين دور فاعل في تشييد ثقافة الأنا (الطفل) وهما يجعلان هويته تتساوي هويته الوطنية؛ إذ يربّى الطفل على أصول الانتماء الوطني والمقاومة.

ومن جهة أخرى يرسم الشاعر نطاق المجال المناهض للثقافة للآخر الغيري الغريب الذي يخالف سمات الحياة ويعادي الوطن بمفهومه الشامل. والوطن لاينحصر في السوريا فقط بل يشمل جميع الأقطار العربية ولاسيما فلسطين. إنّه يعتبر العدو المحتل المتجاوز الظالم، آخراً غيريا لا ثقافياً لابدّ أن يقاتل معه ويزول بكل سلاح من النار والعلم.

تختلف معاملة سليمان مع الأخر الغريب ـ وهو يتمثل في الكيان الصهيوني ـ عن معاملته مع الآخر القريب؛ لأنه من منظور السيميائية الثقافية يعتبر ضدالثقافة داخل الكون الثقافي. الطفل الذي ينشأ في أحضان شاعر الأقطار العربية وتركب ثقافته من معالم سيمائية لأناشيده، يتفاعل مع الآخر القريب في داخل الكون السيميائي الثقافي في سبيل اعتلاء الوطن تقوية للمركز السيميائي، لكنه لا يغفل عن الآخر الغريب النابذ للمركز في مجال ضد الثقافة الذي يهدّد حياة الطفل وحياة الوطن.

في منظومة سليمان العيسى الفكرية يجب محاربة العدو بمساندة القوى الحميمة الجاذبة للمركز وهي الآخر القريب الذي يساند الأنا في دفع الآخر الغريب العدو ويساعده في طريق الكفاح والمقاومة. هكذا تدخل قضية فلسطين والمقاومة الفلسطينية في الكون السيميائي الثقافي.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. أبيض ملكة (٢٠٠٧م). «سليمان العيسى في ديوانه الجديد أنا وجزيرتنا العربية». مجلة المعرفة، العدد ٥٢١. صص١١٦- ١٢٢.

٢. أحمد، عبدالله (١٩٩٠م). بناء الأسرة الفاضلة. بيروت: دار البيان العربي.

٣. اكبربور، سميه (١٣٩٤ش). ادبيات كودكان در سروده هاي ديوان الأطفال سليمان العيسى، رسالة ماجستر في اللغة العربية وآدابها، جامعة سمنان.

٤. بريمي، عبدالله (٢٠١٨م). السيميائيات الثقافية مفاهيمها وآليات اشتغالها.عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

٥. بوزوادة، حبيب (لا تا). «سيميايات الثقافة لدى جماعة موسكو- تارتو». الملتقى الدولي السابع السيمياء والنص الأدبي. الجزائر، صص١٣٣-١٤٣.

٦. بوعجاجة، سامية (٢٠٠٩م). «شعر الاطفال عند سليمان العيسى». مجلة المخبر قسم الأدب العربي.صص ٣٧١-٣٩٢.

٧. پوينده، محمد جعفر (١٣٨٠ش). سوداي مكالمه خنده، آزادي ميخائيل باختين. تهران: نشر چشمه.

٨. تودوروف، تزفيتان (١٩٩٦م). ميخائيل باختين المبدأ الحواري. ترجمة فخري صالح. ط ٣. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٩. حاجي زاده، مهين؛ ومايه گوزل، بهمن؛ ابهن، محدثه (١٣٩٤ش). «بررسي وتحليل أشعار تعليمي سلبمان العيسى در حوزه ادبيات كودك». مجلة نقد الأدب العربي، جامعة بهشتي، السنة ٦، العدد ١، صص٦٧-٩١.

١٠. خرم، مسعود (١٣٧٨ش). هويت. ط ٥. طهران: مؤسسه فرهنگي انتشاراتي حيان.

١١. سرخي زاده، زهره (١٣٩٥ش). «بررسي وتطبيق صور خيال در أشعار كودكانه محمود كيانوش وسليمان العيسى». رسالة ماجستر في اللغة العربية وآدابها، جامعة بيام نور، تفت.

١٢. سنسون، گوران (١٣٩٠ش). «مفهوم متن در نشانه شناسي فرهنگي». مجموعه مقالات نشانه شناسي فرهنگي، تنظيم: فرزان سجودي، ترجمة: فرزان سجودي، طهران: نشر علم، صص٧٥-١١٩.

١٣. شوقي، جلال (١٩٩٧م). التراث والتاريخ. بيروت: دار آفاق للنشر.

١٤. عبشي، نزار (٢٠٠٥م). «التناص في شعر سليمان العيسى». رسالة ماجيستر في اللغة العربية وآدابها، جامعة البعث.

١٥. العيسى، سليمان (١٩٩٩م). ديوان الأطفال. دمشق: دار الفكر.

١٦. ـــــــــــ (٢٠٠٩م). أراجيح تغني للأطفال. دبي: دبي الثقافية.

١٧. ـــــــــــ (٢٠١٤م). الأعمال الأخيرة. دمشق: الهيئة الهامة السورية للكتاب.

١٨. فريق من الباحثين (١٩٩٣م). علم النفس وميادينه من فرويد إلى لاكان. تر: وجيه أسعد. ط٤. الدار المتحدة.

١٩. قرآنيا، محمد (٢٠٠٣م). قصائد الأطفال في سوريه. دمشق: اتحاد الكتاب العربي.

٢٠. كاستلز مانوئل (١٣٨٠ش). عصر اطلاعات: اقتصاد جامعه وفرهنگ. ترجمة حسن چاووشيان. ط ٢. طهران: انتشارات طرح نو.

٢١. كحاله، عمر رضا (١٩٩٤م). معجم قبائل العرب القديمة والحديثة. ط ٧. بيروت: مؤسسة الرسالة.

٢٢. گرام، زهور (٢٠٠٧م). «الأنا والآخر في كتابة المرأة». فكر العلوم الإنسانية والاجتماعية. العدد ٥، صص٤٧-٥١.

٢٣. لوتمان، يوري (١٣٩٠ش). درباره سپهر نشانه‌اي: مجموعه مقالات نشانه شناسي فرهنگي. تنظيم: فرزان سجودي. طهران: نشر علم، صص٢٢١-٢٥٩.

٢٤. لوتمان، يوري؛ واسبنسكي (١٣٩٠ش). «در باب ساز وكار نشانه شناختي فرهنگ». مجموعه مقالات نشانه شناسي فرهنگي. تنظيم: فرزان سجودي. طهران: نشر علم، صص٤١-٧٥.

٢٥. ليونگبرك، كريستينا (١٣٩٠ش). «مواجهه با ديگري فرهنگي: رويكردهاي نشانه شناختي به تعامل بينافرهنگي». مجموعه مقالات نشانه شناسي فرهنگي. تنظيم: فرزان سجودي. ترجمة: تينا امراللهي، طهران: نشر علم، صص١١٩-١٥٣.

٢٦. مدني، داوود؛ وخسروي شكيب، محمد (١٣٨٨ش). «نشانه شناسي در شعر كودك». فصلنامه تخصصي ادبيات فارسي دانشگاه آزاد اسلامي مشهد، العدد ٢٣، صص١٠١-١١٤.

٢٧. مكاريك، ايرنا ريما (١٣٨٨ش). دانشنامه نظريه‌هاي ادبي معاصر. ترجمة: مهران مهاجر ومحمد نبوي، نشر آگه.

٢٨. نجوميان، امير علي (١٣٨٩ش). نشانه شناسي فرهنگي. طهران: سخن.

٢٩. الهيتي، هادي نعمان (١٩٨٦م). أدب الأطفال، فلسفته، فنونه، وسائطه. القاهرة؛ بغداد: الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ دار الشوون الثقافية العامة.

30. Bakhtin, Mikhail (1986). Speech Genres and other Late Essay. Austin: university of Texas press.

31. Clark, katerina & Michael Holquist (1984). Michail Bakhtin. Cambridge: Harvard university.

32. Todorove, Tzvetan (1984). Mikhail Bakhtin, The Dialogical principle .translated by wlbd Godzich. University of Minnesota.

33. Hall, Stuart (1973). Encoding/ Decoding» in culture, Media language: Working Papers in cultural Studies .London: Hutchinson in Association with the Center for Contemporary Cultural Studies, University of Birmingham.

34. Holquist, M. (1994). Dialogism: Bakhtin and his world, London: Routledge.

35. Lotman,Yuri (2001). Universe of the Mind: A Theory of Culture. Trans: An Shukman. London: Tauris.